... فَهَلْ سَمِعْتَ بمثْله؟!...

وبينما الرسول ﷺ يطوف بالبيت الحرام ، وذلك أثناء فتح مكة ، إذ حدث هذا الحادث ، والذي يحمل في طيّاته عبراً كثيرة:

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به أن فَضَالة بن عمير بن الملوّح الليثي أراد قتل النبيّ ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح!

فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: «أفضالة؟».

قال: نعم فضالة يا رسول الله ، قال: «ماذا كنت تُحدّث به نفسك؟».

قال: لا شيء كنتُ أذكر الله عز وجل.

قال: فضحك النبي ﷺ ثم قال: «استغفر الله» ، ثم وضع يده علىٰ صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتىٰ ما من خلق الله شيءٌ أحبّ إليّ منه.

قال فضالة: فرجعتُ إلىٰ أهلي ، فمررتُ بامرأةٍ كنتُ أتحدّثُ إليها ، فقالت: هَلُمّ إلىٰ الحديث. فقلتُ: لا.

وانبعث فضالة يقول:

قالت: هَلُمّ إلىٰ الحديث، فقلتُ: لا ... يأبىٰ عليكِ الله والإسلامُ

لو ما رأيت محمداً وقبيلَهُ ... بالفتح يوم تُكسّر الأصنامُ

لرأيتِ دينَ الله أضحىٰ بيّنا ... والشركَ يغشىٰ وجهه الإظلامُ[1]

---

(١) سيرة ابن هشام: ٤/ ٣٧ ، عيون الأثر: ٢/ ١٨٠.

أجل يا رسول الله يا أحمد!.

لقد كنتَ حريصاً علىٰ هداية البشر جميعاً ، لذلك لم يكن هدفك فضح المذنبين ، إنما كان الهدف هو هدايتهم إلىٰ طريق الهدىٰ والرشاد ، وقد صدق الله سبحانه بوصفه إياك : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة : ١٢٨ ـ ١٢٩].

ما ضلّ صاحبُكم فخُصّ وكُرّما ... وبقول «ما كَذبَ الفؤاد» لقد سما

وكفاه ما قد قاله ربّ السّما ... «إن الذين يبايعونك إنما»

فيما يقولُ يبايعون الله

شهدت جميع الأنبياء بفضله ... فلأجل ختمهمُ أتوا من قبْلِهِ

ولـه لواء الحمد خُصّ بحَمْله ... هذا الفخارُ فهل سمعتَ بمثلِهِ

واهاً لنشأته الكريمة واها

يا أمة الهادي ومَنْ كمثالكُم ... فجلال أحمد شاهدٌ بكمالكم

هو ستركم هو ذُخركم لمآلكم ... صلّوا عليه وسلّموا فبذلكم

تُهدىٰ النفوسُ لرشدها وغناها

* * *